بقيت يا وطني

بالعربي الفصيح

د. عبدالإله الطلوع

□ وأنت ترى طوابير النساء والأطفال تنتظر الحصول على دبّة ماء إلى جانب أصوات المولدات الكهربائية أمام كل محل وبيت ومؤسسة إلى جانب نازحين وخنادق في شوارع ودمار، فإنك تتساءل عن سبب كل هذا وغيره، إن كنت تعلم فتلك مصيبة، وإن كنت لا تعلم فالمصيبة أعظم، ففي بلادنا وباقي الأقطار العربية انتشر أفيون الفوضى وغابت الحكمة لدى العقلاء من الناس، وتفشى الحقد وغابت الأهداف والمعنى من الحياة التي تبدو خالية من المنطق والإخاء والصدق والتسامح والحوار الذي بدأناه من سنين وسنين في بلادنا، لكن ورغم كل هذه التداعيات إلا أنه لا تزال هناك فرصة أمام اليمنيين للتوصل إلى اتفاق حول مختلف القضايا، رغم أن المؤشرات تدل على أن اليمن يسير ببطء نحو الفتنة، فإذا استمرت الاحتجاجات دون الرجوع إلى الحوار، الذي يُعمل به في حال أي خلاف في أيّ من بلدان الأرض، فإن الانهيار في الأحوال الأمنية والاقتصادية وربما التقسيم سيكون في سائر أنحاء البلاد الأمر الذي سيؤدي إلى حرب أهلية شاملة لا محالة، فسنة من عمر الأزمة والأمور تزداد تعقيداً في الساحة اليمنية، وكلما دقّقنا النظر في مجرياتها وجدناها خالية من جوهر الولاء الوطني الذي يذهب لمصلحة الوطن وتقديمه على كل شيء، وإلا كيف نقرأ هذا الخلاف الذي يتعقد ولا ينفك، لكن في المقابل لم نكن نعلم أننا وسائر الأقطار العربية سندفع فاتورة الأزمة الراهنة من مقدرات الأوطان واستقرارها مليارات الدولارات من إنجازات السنوات السابقة، التي قطعت بلادنا فيها شوطاً كبيراً، ودول أخرى في هذا الجانب.

إننا نرى مع غيرنا أن وطنية لبنان النموذج في السبعينيات من القرن الماضي ذهبت إلى مذاهب وطوائف وأعراف وصراع، وليبيا التي أفرزت قبائل متقاتلة، كل هذا جانب، وجانب آخر هو أن مفتي الديار المصرية الشيخ عمر سطوحي أفتى بعدم الزواج من المسلمات، «فلول أعضاء الحزب الوطني الحاكم السابق في مصر»، وبالتأكيد هذا الإفتاء قد يثير ردود أفعال ساخنة لدى الناس، وسيبقى الإفتاء كالجمرة التي تشعل الخلاف وتزيده.

بقي أن نشير إلى أن الأمجاد العربية وحلم وبهجة الوحدة العربية، الذي قرأناه في كتب التربية الوطنية في المراحل الابتدائية، قد يصبح، بل قد أصبح في مهب الريح، بمعنى وهم وخيال للأجيال والأوطان، والرهان على التقدم والإصلاح والتغيير في الوطن العربي الكبير قد يبقى مؤجلاً وقد يبقى النظام العربي مطروحاً كإشكالية إلى جانب الإشكاليات التاريخية العربية المستعصية.

والله من وراء القصد، ربّنا جنّب اليمن الفتن، فأنت العلي العظيم وأنت القادر وأنت المعين.

كارثة موت أسرة كاملة أيام العيد هزت مسامع اليمنيين

استعدوا للموت.. بطقوس خاصة.. ووداع عائلي حميم

هل من المعقول أن يقضي ماطور على حياة أسرة كاملة مكونة من 12 شخصاً

■ كانت أسرة حمد شوعي الشداد الذي يعمل في العمليات التابعة للجوية على موعد مع الفرح بالعيد في منزلهم المتواضع المؤجر.. أسرة كاملة مكونة من اثني عشر شخصاً استعدت للسفر.. وجهزت أمتعتها الخاصة بالعيد.. وأبلغت جيرانها بأنها ستغادر في اليوم الثالث إلى محافظتهم لقضاء العيد بين أقاربهم.. وفي الليلة الأخيرة التي قضوها في شقتهم قاموا بتشغيل «المولد الكهربائي» داخل المنزل وبالتحديد في الغرفة المجاورة للديوان وأحكموا إغلاق نوافذ وأبواب الشقة من البرد القارس.. أرادوا قضاء ليلة عائلية «يتسامرون» فيها مع وهج الضوء.. وجلسة حاول بعض أفراد الأسرة أن يكون لها طقوس خاصة بمضغ القات.. فقد أعدوا لتلك السمرة جوها الخاص من تعمير «الشيشة» وإعداد المشروبات وللأطفال جعالة العيد وضعت أمامهم..

لم يعرفوا ما يخفيه القدر لكافة أفراد هذه الأسرة.. الأب والأم وأبنائهم «العشرة».. انتقلوا تلك الليلة إلى حياة أخرى.. بعد وداع عائلي حميم..

هذه الحادثة المؤلمة.. وقعت تفاصيلها في منطقة بني حوات شمال العاصمة.. وتحديداً شرق المطار في حي (الحيمي) بصنعاء حيث يسكن حمد الشداد رب الأسرة بالقرب من مقر عمله في القوات الجوية..

تحقيق/ عبدالواسع الحمدي - نورالدين القعاري

قصة السفر

جيرانهم سكان «الحي» عاشوا فرحة العيد بدونهم أُسرة شداد وفي اعتقادهم أن الأسرة سافرت إلى منطقة عبس بمحافظة حجة فيما الحقيقة والقدر يقولان عكس ذلك فالأسرة قضت العيد داخل منزلهم.. سبعة أيام في سكون وهدوء بعد أن توقف ضجيج المولد الكهربائي الذي ظل يعمل ويصدر أصواته ودخانه السام لساعات حتى نفد منه الوقود «البنزين».

ويقول مختصون إن الدخان المنبعث من المولد الكهربائي هو غاز منوم وسام في ذات الوقت ظل يعمل المولد والأسرة تستنشق ذلك الدخان.. لتدخل الأسرة في حالة نوم لا شعوري نوم أبدي.. بحسب تأكيدات المختصين وتهيأت ظروف وأجواء الموت في تلك الليلة الدافئة عاشوها داخل شقتهم محكمة الإغلاق يستنشقون أدخنة المولد ولا يوجد أكسجين حتى فارقت أسرة شداد الحياة.

فالأسرة لم تستيقظ من نومها ولم تأخذ حقائبها بل لم تفتح الباب لأي من جيرانهم ومعاريفهم!! هذا ما أكدته أحاديث الجيران من شاهدوا وعاشوا مجريات الأحداث بشتى تفاصيلها فلنتابع ماذا يقولون:

أقوال الجيران

■ علي عطيفة – صاحب البيت المقابل لمنزل المنكوب حمد شوعي الشداد– وملامح الحزن والحسرة ارتسمت على وجهه قائلاً: قد عزم جاري حمد على السفر لقضاء إجازة عيد الأضحى المبارك في محافظة حجة مديرية عبس إلا أن الأسرة قامت بالسلام علينا ثاني أيام العيد ، حيث أخبرونا بأنهم مسافرون في اليوم التالي وأن اليوم الذي سيمكثون في منزلهم بصنعاء هو آخر يوم لهم..

ويضيف: قمنا بطرق أبواب بيت حمد للسلام عليه في اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى المبارك فلم يرد أحد على الباب مما جعلنا نتأكد بأنهم قد غادروا المنزل وكنا مستغربين من هذه السرعة التي سافروا بها، منوهاً بأن العلاقة بينه وبين أسرة حمد لم تكون قوية بسبب قرب استئجار حمد للبيت، يقول: لم نتعرف على أسرة حمد كثيراً بسبب أنهم كانوا نزلاء حديثين في الحارة ولم يجبنا أحد وكذلك اليوم الرابع من أيام العيد.. لم يجبنا أحد.. عندما طرقنا عليهم الأبواب.

الغريب والمثير

وفي هذه الفترة سمعت قريبة عطيفة صوتاً وكأن هناك أحداً يدق الباب ولكن معالم الصوت لم تتضح لها.. فظنت أنها هرة أو كلب يلعب بجوار منزل (حمد) ولم يذهب فكرها إلى سكان المنزل مع العلم أن هذه الأصوات كان ضربات الطفل حمد الصغير الذي لا يتجاوز ١٠ سنوات بحسب ماتم اكتشافه فيما بعد.. وكان آخر فرصة لنجاتهم..

والحديث هنا للأخ/ علي: مع مرور الأيام.. بدأت الروائح للجثث تنبعث بالقرب من المنزل لكننا في بادئ الأمر ظننا أنها هرة ميتة فازدادت الرائحة يوماً بعد آخر فقام جمع من الجيران بالتشاور وبدأوا يقولون لم تعد هذه الرائحة رائحة عادية.

رائحة الموت

أما الجار الآخر علي هميس الذي كان آخر من التقى برائد الإبن الكبير لـ(حمد) وهو ذاهب إلى محطة البترول لشراء مادة البترول لتشغيل الماطور في آخر ليلة لهم، يقول وبالتحديد في الخامس من أيام عيد الأضحى المبارك بدأت تفوح الرائحة من منزل (حمد) وفي اليوم السابع لم يعد هناك صبر على تلك الرائحة (المتعفنة) التي تنبعث من المنزل فقررنا الذهاب إلى عاقل الحارة علي خطابي لعرض المسألة عليه.

وفعلاً خرج عاقل الحارة مع مجموعة من جيران المنزل المنبعثة منه الروائح فما كان منه إلا أن علم بالرائحة القوية وقام القريب منهم بإبلاغ قسم الشرطة بني حوات وهرع رجال الشرطة وتفقدوا المنزل فحاولوا أن يدخلو من الباب فلم يفلح الأمر ولجأوا إلى النافذة للدخول عبرها ويضيف: قام أحد رجال الشرطة بكسر النافذة وبمجرد كسرها فاحت رائحة الأموات المتعفنة – ولا حول ولا قوة إلا بالله – الأمر الذي جعل من الشرطي الفرار بسبب هذه الرائحة وعندها كانت الدهشة الكبرى.

فاجعة

بعد دخول رجال الشرطة للمنزل كان ما شاهدوه فاجعة على الشرطة وعلى الجيران.

ويضيف لنا ذلك المشهد الأخ/ عبدالرحمن قاسم أحد جيرانهم تفاجئت الشرطة والبحث الجنائي بوجود تسع جثث في غرفة واحدة وبقية الجثث في الغرفة الأخرى في مشهد لا يمكن وصفه ولا نستطيع التعبير عنه، جثث ممتدة «هامدة» منتفخة.. يظهر عليهم بأنهم ميتون منذ أيام..

مضيفاً: بأنها كانت قضية تجسد صورة مأساوية لم نستطع تحملها حتى رجال الأمن والناس والجيران من هول المنظر وقساوة المشهد.. أما الذين قاموا بالمجازفة للدخول للمنزل لم يستطيعوا أن يواصلوا النظر في ذلك المشهد المروع فتساقطوا بين من فقد وعيه ومن قام بالتقيؤ.

■ وبعد هذا المشهد قام رجال الأمن بالدخول إلى المنزل مع عاقل الحارة وبعض الجيران وقرروا إغلاق المنزل إلى حين استدعاء كل من له صلة أو قرابة من رب الأسرة إلى حين جاء زميل رب الأسرة الذي له ذكرى كبيرة مع هذه الاسرة لأنه درس في العراق مع رب الاسرة ويعملون سوياً في الكلية الجوية فتعرفوا على الجثة واكتشفوا أن عددها اثنتا عشرة جثة منتفخة وهم حمد (رب الأسرة) وزوجته الحامل وخمسة أولاد ذكور الكبير منهم يصل عمره ما بين ١٢ إلى ١٣ عاماً وخمس اناث).

لغز محير

ما الذي حدث لهذه الأسرة تساءل الناس أجمعهم إلا أن الاجابة تكشفت مع مجريات التحقيقات أن السبب في هذا هو الماطور الذي كان قد تم تشغيله داخل غرفة المطبخ وكان البيت محكم الإغلاق مما دفع الناس إلى الاستغراب كثيراً كيف يقوم بتشغيل الماطور في المنزل وهل هذا صحيح؟ كيف يموتون جميعاً من العادم الخارج من الماطور كيف لم يستطع أحدهم فتح الباب؟ أو طلب المساعدة!!

وما أكد لهم أن هناك اجماع حول هذا السبب هو تأكيدات من الجيران وعاقل الحارة وبعض رجال الأمن بعد إجراء التحقيقات اللازمة أن الماطور هو من قام بالقضاء عليهم على حد تعبيراتهم.. وقال: علي عطيفة قامت الأجهزة الأمنية بتفقد الماطور وجدوا أنه قد كان في وضعية التشغيل وأنه قد ترك شغالاً حتى أنتهى ما كان بداخله من وقود مما أدى إلى انطفائه تلقائياً.

معرباً عن أسفة من أن الجهات الصحية لم تأت ولم تكلف نفسها عناء تطهير المكان أو تحذير المواطنين من هذه الكارثة أو حتى يعطوهم بعض الإرشادات الضرورية لذلك.. وأعرب عن استنكاره لهذا التجاهل الواضح من قبل الجهات المسؤولة في هذا المجال، منوهاً بأن الرائحة تملأ المكان والبيوت القريبة منها.

تفسير طبي

أما الاخصائيون في مستشفى الثورة فقد أرجعوا سبب ما حدث في مثل هكذ حاله وفي حالات مماثلة أخرى إلى أن استنشاق الأدخنة الملوثة الناتجة عن الاحتراق تؤدي إلى إصابة الجهاز العصبي بالشلل التام ويتوقف عن إصدار أية أوامر إلى أعضاء الجسم لاتخاذ رد فعل ومحاولة النجاة وهو ما حدث في هذه الحالة.. خاصة وقد أفاد الشهود بأن الغرفة كانت محكمة الإغلاق.

حالات مشابهة

■ ليست هذه الحادثة الوحيدة الناتجة عن أخطاء في التعامل مع الأجهزة الحديثة أو التقليدية حيث تستقبل المستشفيات العديد من هذه الحالات ويصعب الإنقاذ للكثير منها .. والحوادث من هذا النوع كثير جداً من ضمنها وصول عروسين إلى قسم الطوارئ في مستشفى الثورة وهما في حالة إغماء إثر تعرضهما لاستنشاق الغاز الناتج عن إضاءة (اتريك غاز) في غرفتهما بسبب استنشاق الدخان الناتج عن الضوء وتدريجيا أحسا بالتعب والاستسلام للنوم وكان الاتريك لا يزال مشتعلا .. الهدوء الذي حل بالمكان بعث الريبة في قلوب الأسرة، كان العروسان في وضعية الإغماء وتمت عملية نقلهما إلى مستشفى الثورة بصنعاء .. يقول الدكتور صابر حزام من ذات المستشفى: إن الاثنين استنشقا ثاني أكسيد الكربون وبفعل إغلاق الغرفة حرما من الأوكسجين وتوقف تدفق الدم عن الجسد وحصل الإغماء ولولا التدخل من قبل الأهل لتمت الوفاة .. ومع كل الجهود التي بذلت إلا أن العروسين خرجا وهما يعانيان من حالة شلل نصفي أفقدهما القدرة على حركة نصف أجسادهما.

دعوة لبائعي المولدات

ودعا العقيد محمد محمد حزام مدير الإعلام بوزارة الداخلية الذي نزل إلى مكان هذه الحادثة كافة جهات الاختصاص في وزارتي الداخلية والصحة إلى الإلتفات لمثل هكذه الكوارث التي سببها في الأول والأخير انقطاع الكهرباء وجهل مستخدمي المواطير بكيفية التعامل الآمن والسليم مع المواطير.

وحث بعض المختصين بائعي المواطير على تزويد المستفيدين الذين يشترون (المولدات) بإرشادات عن كيفية التعامل السليم مع المواطير.

الجدير بالإشارة أن أدخنه المواطير عند تشغيلها في الأماكن المغلقة تصيب مستنشقيها بالنعاس والنوم ومن ثم الموت المحقق.. نتيجة عدم توفر الأكسجين.

الأم.. هذا أمر الله

أما أهل الضحية فقد جاءت أم (حمد) إلى المنزل بعد أخذ الجثث بثلاثة أيام ولم تكن قد استوعبت الكارثة التي أصابت ابنها مع عائلته الكبيرة المكونة من حمد وزوجته وخمسة ذكور وأربع بنات وزوجة الأخ.. وفي تفقدها للبيت ومشاهدة أثر الدماء ووصف الجيران لما حدث كاملاً كان آخر ما قالته: إنا لله وإنا إليه راجعون هذا أمر الله ومن يستطيع أن يغير القدر.. بهذه الكلمات انتهت أسرة (حمد) التي ما كادت أن تستقر في منزل الإيجار الذي لم يفرحوا به في الاخير ومع نهاية هذه القصة المؤلمة نوجهها نصيحة للعامة تجنباً لمثل هكذا كوارث.. يجب على كل رب أسرة ومسؤول بيت أن يقي نفسه وأهله هذه الكوارث التي لا ينتبه لها الكثير وخاصة في أيام الشتاء وأن يبتعدوا عن استنشاق الأدخنة الملوثة الناتجة عن الاحتراق التي تؤدي إلى إصابة الجهاز العصبي بالشلل التام.. وأن اغلاق النوافذ والابواب.. وداخل المنزل ماطور يعمل أو ما يشابهه من المولدات.. يعتبر بداية الطريق نحو الموت المحقق.. لتكن هذه الحادثة.. عبرة.. لمن يعتبر..

تصوير/ محمد المعلمي

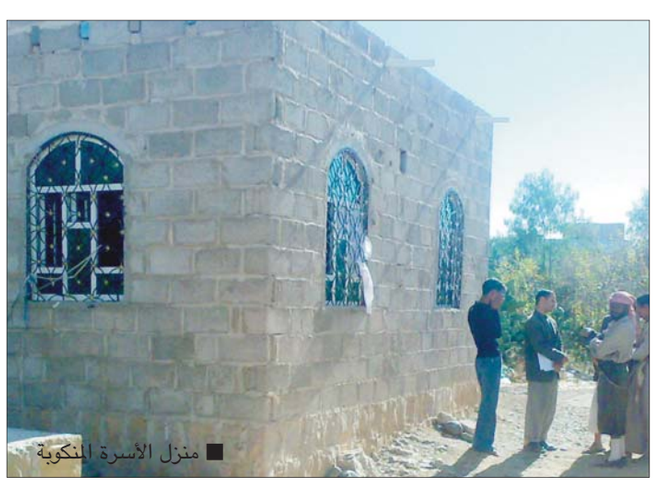

■ منزل الأسرة المنكوبة

غـــــرف المـــنـــزل